القول السديد في فضل التوحيد

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد:

فقد أخبر الله ﷻ أن الفوز العظيم متحقق في طاعة الله ورسوله عليه صلوات الله وسلامه، وإن أجل وأعظم طاعة الله لهو ما خلق الله ﷻ الخليقة من أجله، وهو توحيده وإفراده بالعبودية، فلهذا المراد خلق الله ﷻ الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وأقام سماه، وبسط أرضه، وكل ذلك ليُقام دين الله، وليُعبد هو ﷻ دون غيره، قال عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [سورة الذاريات:٥٦،٥٨].

وأبانَ ﷻ بعد أن أبان أنه خلق الخليقة لعبادته، هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا، خلق ما في الأرض جميعا للعباد من أجل أن تتحقق عبادة الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾

فما من الرسول ولا نبي إلا وقامت دعوته على هذا المرتكز عبادة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [سورة النحل:٣٦].

إن توحيد الله لهو دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، الأولون منهم والآخرون قال الله ﷻ: ﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١﴾ [سورة الأحقاف:٢١].

إن توحيد الله، لا أمن ولا استقرار لأمة إلا بتحقيقه، سواء كان في دنياهم أو في أخراهم، قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [سورة الأنعام:٨٢].

فهداية العباد فيه، وأمن العباد فيه، وحياة العباد فيه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [سورة الشورى:٥٢].

وصراط الله دينه، وصراط الله توحيده، وصراط الله المستقيم كتابه، هذا هو صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [سورة الأنعام:١٥٣].

فالله خلق العباد وأوجب عليهم اتباع دينه وشرعه وتوحيده، وقال الله ﷻ مبينا دعوة الأنبياء والمرسلين: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾ [سورة الشورى:١٣].

والشاهد من ذلك أن ﷻ شرع للأمم من أولهم إلى آخرهم أن يقيموا دينه وتوحيده، فإذا أطلق الدين فالمراد به التوحيد، وغيره تبع له، وقال الله ﷻ آمرا الأمم أن تكون على هذا الدين وهذا التوحيد محذرا لهم من مخالفته واتباع الأهواء: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ [سورة الجاثية:١٨،١٩].

أهل توحيده، أهل تقواه، أهل هداه، يتولاهم الله بولايته، لو لم يكن من فوائد ذلك إلا ولاية الله ﷻ لك أيها الموحد، أيها المؤمن المتقي لله، لكان ذلك من أجل الكرامات وأفضل الطاعات، إن توحيد الله لا حفظ للأمم، لا حفظ لحياتها، لا حفظ لأوقاتها، لا حفظ لخيراتها، لا حفظ لأعمارها، لا حفظ لمجتمعاتها، الا بتحقيقه كما أخبر رسول الله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنه، وصيته لابن عباس وهو مردفه، قال: **"يا غلامُ إنّي أعلّمك كلماتٍ: احفظِ اللَّهَ يحفظكَ، احفظِ اللَّهَ تجدْهُ تجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ وإذا استعنتَ فاستعن باللَّهِ، واعلم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لكَ، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوكَ بشيءٍ لم**

يضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعتِ الأقلامُ وجفَّت الصُّحفُ" أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وهو في الصحيح المسند للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله برقم (٦٩٩).

وهذا وصية عظيمة دالة على أن من حقق توحيد الله والاعتماد عليه بحفظ حدوده، وحفظ حقوقه، وأجل حقوق الله ﷻ توحيده، وحفظ أوامره ونواهيه، فكل ذلك من التوحيد، ومن مكملات التوحيد، وشعب التوحيد، ومنارات التوحيد وسواه، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً، أعلاها قولُ لا إله إلا اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ"** أخرجه البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥).

وفي لفظ: **"الإيمانُ بضعٌ وستون شعبةً"**.

والأئمة المتقدمون كانوا إذا صنفوا في التوحيد سمو ذلك بكتاب الإيمان، فصنف ابن مندة بكتاب الإيمان، وصنف أبو عبيدة القاسم بن سلَّام الإيمان، وصنف غير واحد من الأئمة كتابا سماه الإيمان، ويقصد بذلك مبدئيا إطلاق الإيمان على توحيد الله، الذي هو مناطه هداية الأمم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩﴾ [سورة يونس:٩].

وقال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [سورة محمد:١٧].

هذا هو مراد الله ﷻ من خلقنا معشر المكلفين من الجن والإنس، والرجال والنساء، والصغار والكبار، من أجل ذلك خلق الله هذا الكون في صالح العباد، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [سورة البقرة:٢٩].

وقال الله: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [سورة لقمان:٢٠].

وقال الله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [سورة إبراهيم:٣٤].

كل ذلك ليتحقق على العباد، أنعم الله ﷻ على العباد، فأعدهم، وأمدهم، وأكرمهم، وهيأهم، بقدرات، وحياة، وإمكانيات، ومطاعم، ومشارب، ومساكن، قال تعالى: ﴿وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢﴾ [سورة يس:٧٢].

وهكذا امتنّ الله ﷻ على العباد بمنن كثيرة، يُذكرهم أن حقه عليهم هو عبادته، وأن من لم يحقق ذلك كان عند الله من المعذبين نعوذ بالله من ذلك.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله على توحيده واتباع مصطفاه، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه يرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ملءُ أرضه وسماه، أما بعد أيها الناس: الله الله في العناية بعبادة الله ﷻ، والعبادة عند أهل العلم هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال، والأعمال الظاهرة، والباطنة.

فكل ما تأتي وتذر من قول أو فعل ظاهر أو باطن تريد بذلك وجه الله فهو عبادة، إن صرفته لغير الله كان شركا، وإن حققته كان طاعة لله ﷻ، واحذر يا عبد الله أن تجانب عبادة الله وتوحيده، فإنك إذا مت وأنت محقق توحيد الله فزت فوزا عظيما، ثبت في مسلم (٩٣) عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ"**.

والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [سورة النساء:١١٦].

فمن أشرك بالله شيئا خُلِّد في عذاب النار، ومن مات لا يشرك بالله شيئا مات على تحقيق توحيد الله وعبادته صار من الفائزين حتى وإن لقي الله ببعض الذنوب، ففي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شاء"** أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

أدخله الجنة على ما كان من العمل، قال أهل العلم: أدخله الله الجنة حتى وإن كان عنده شيء من المعاصي ما دام محققا توحيد الله، فإنما دون ذلك مأرب للغفران، وإنما دون ذلك سبب من حققه سبب لهداية الله وتوفيقه.

فيا معشر المسلمين هذا باب السعادة، عبادة الله ﷻ باب السعادة، وباب تحقيق المراد، وباب إكرام العباد، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٧٠].

إن حق الله علينا هو هذا، ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟** قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ ﷻ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً**» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا**"، أخرجه البخاري (٧٣٧٣)، ومسلم(٣٠).

وحق العباد على الله: أي تكرم وتفضل وامتنان ألا يعذب من لا يشرك به شيئا.

نسأل الله ﷻ أن يمن علينا وعليكم بتحقيق التوحيد، وأن يجعلنا من صالح العبيد، نسأل الله ﷻ أن يتوفانا على الإسلام والسنة، نسأل الله سبحانه أن يدفع عنا وعنكم الفتن ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله رب العالمين.

سجلت في يوم:

الجمعة ٢٠/جمادى الأولى/١٤٤٣ هجرية

فرغها/ أبو عبد الله زياد المليكي